اقتران اسمي الله تعالى الواسع والشاكر
باسمه العليم في السياق القرآني
دراسة موضوعية

إعداد الباحث:
الأستاذ الدكتور/ زياد بن خليل الدغامين

أستاذ التفسيروعلوم القرآن
قسم أصول الدين _كلية الشريعة_ جامعة آل البيت
المملكة الأردنية الهاشمية

ملخص:

تناول هذا البحث اسمين من أسماء الله الحسنى، هما الواسع والشاكر حين يقترنان باسم الله العليم في القرآن الكريم، فعرّف بهذين الاقترانين وورودهما في القرآن الكريم، والمواطن التي يرد فيها كل اقتران، ليتبين أنّ اقتران اسمه "الواسع": باسمه "العليم" يرد في سياق الإنعام والإفضال بـ التوسعة على الناس في شؤون دينهم ودنياهم. وأما اقتران اسمه "الشاكر" باسمه "العليم" فيرد في سياقين، يوضح أحدهما أنّ إدامة الشكر توجب رفع العذاب، ويبين الثاني أن الأعمال التي يشكر الله عليها المؤمنين أداء الحج والعمرة، فمن تطوّع وزاد بأن أدّاهما أكثر من مرّة، فهو محفوف بشكر الله تعالى له، يقبل منه عمله ويثيبه عليه بأجزل ما يكون من العطاء، لأنّ بهما يبلغ الإنسان ذروة الكمال الروحي، والرقي النفسي.

كلمات مفتاحية: الاقتران الثنائي، أسماء الله الحسنى، الواسع، الشاكر، العليم.

Abstract:

Allah’s Names: The Pairing of Either the All Encompassing, or the Most Appreciative with the All Knowing in Qur’anic Contexts

This paper studies the pairing of two names of Allah, namely the All Encompassing and the Most Appreciative, with His name the All Knowing. It defines each pairing, and its contexts of occurrence. The study reveals that the pairing of Allah’s name the All Encompassing, with the All Knowing, occurs in contexts where Allah’s blessings and graces on man are being discussed, especially the grace of making man’s life easier by giving him a flexible religion. However, the pairing of His name the All Appreciative with the All Knowing usually occurs in contexts stating that continuous appreciation and thanking on the part of people necessitates forgiveness. This is how our gratefulness is appreciated. In fact, the first and foremost deed that Allah appreciates is performing Hajj and Umrah. Therefore, whoever repeats the performance of these rites would be highly appreciated. Allah would accept his deeds and reward him greatly for it.

Keywords: pairing of various names of Allah,Quranic context.

مقدمة:

يشكل الاقتران الثنائي بين أسماء الله الحسنى أسلوباً فريداً من أساليب القرآن الكريم، ويعدّ مظهراً من مظاهر إعجازه، فورود اسم من أسماء الله الحسنى في الآية الكريمة يوحي بعلاقة وطيدة بين ذلك الاسم وموضوع الآية، ويكشف عن موقع ذلك الاسم في الآية وانجذاب معانيها نحوه، وتأثيره من ثمّ في المخاطب. فكيف إذا اجتمع اسمان أو ثلاثة أسماء أو أكثر من ذلك؟ وهو ما يستدعي دراسة معمقة لورود تلك الأسماء في الآيات الكريمة؛ لتكشف عن وجوه إضافية في إعجاز نظم القرآن الكريم؟

ويحاول هذا البحث أن يدرس جزءاً من تلك الظاهرة البديعة في النظم القرآني، وهو ذلك الاقتران الجامع بين اسمين من أسماء الله الحسنى هما: الواسع، والشاكر حين يقترنان باسمه تعالى العليم؛ فليست هي دراسة عامة لاسمه الواسع مستقلاً، ولا لاسمه الشاكر مستقلاً، بل دراسة لهما في حال اقترانهما باسمه العليم في السياق القرآني، مثل: "والله واسع عليم"، ومثل: "فإنّ الله شاكر عليم". وكما يلاحظ فقد تقدّم هذان الاسمان على اسمه العليم في السياق القرآني باضطراد.

على أنّني لم أعثر على دراسة حاولت أن تجلي البحث في اسمه "العليم" حين يقترن باسمه الواسع واسمه الشاكر في السياق القرآني، على الرغم من وجود بحوث تناولت ظاهرة الفاصلة القرآنية، وما ورد فيها من اقترانات ثنائية لأسماء الله الحسنى. وعلى الرغم من وجود رسائل جامعية حملت عنوان: "الاقتران الثنائي بين أسماء الله الحسنى" إلا أنّ رسالة واحدة لم تحمل العنوان الذي تحمله هذه الدراسة، ولم تتناول اقترانا واحدا لتدرسه في القرآن الكريم دراسة استقرائية موضوعية.

فمن ذلك –مثلا– رسالة بعنوان: الاقتران الثنائي بين أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم: ألفاظه ودلالاته، تقدم بها سنة ١٤١٨ هجرية الباحث فخري الجريسي إلى مجلس كلية الآداب في جامعة الموصل، وهي رسالة ماجستير في اللغة العربية، عدد أوراقها مائتان وستون ورقة تقريباً، وقد بحثت في الأنساق الصرفية والمواقع النحوية لأسماء الله الحسنى المقترنة، ثم الدلالات المفردة، ثم دلالاتها في حال الاقتران، ونقل أقوال المفسرين في ذلك كله، فتلك الجهود لم تتناول اسماً معيناً تبحث فيه، مما يجعل هذه الدراسة متخصصة في اسم الله العليم من حيث اقترانه باسمه السميع، وهناك دراسة أخرى، قام بها سليمان بن قاسم العيد بعنوان: اقتران الأسماء الحسنى في أواخر الآيات من سورة البقرة حصرها، معانيها، مناسباتها، وقد ذكر اثني عشر اقترانا، هي: العليم الحكيم، والتواب الرحيم، والواسع العليم، والسميع العليم، والعزيز الحكيم،

والرؤوف الرحيم، والشاكر العليم، والرحمن الرحيم، والغفور الرحيم، والغفور الحليم، والغني الحليم، والغني الحميد، تناول كل هذه الاقترانات في تسع وثلاثين صفحة كان نصيب اقتران السميع العليم أربع صفحات. وهو لا شك مختلف عن هذه الدراسة منهجا وموضوعا وأسلوبا وحجما.

وسبب اختيار اسم الله العليم واقتران هذين الاسمين به محوراً للدراسة، يرجع إلى أمرين:

١- أنّ هذا الاسم يعدّ من أكثر أسماء الله الحسنى وروداً في القرآن الكريم، فقد ورد أكثر من مائة وخمسين مرّة، واقترن بأكثر من عشرة أسماء من أسماء الله الحسنى، في حين اقترن اسمه الواسع باسمه الحكيم مرّة واحدة في القرآن الكريم، ولم يقترن بأسماء أخرى من أسماء الله الحسنى غير اسمه العليم. وأما اسمه الشاكر فلم يقترن بغير اسمه العليم في السياق القرآني كله.(*)

٢- إظهار أسرار إعجاز القرآن الكريم في هذين الاقترانين، والمعاني التي تتبدّى فيهما في السياق القرآني، خصوصاً تلك التي تتعلق بنظام الاجتماع الإنساني.

٣- توجيه المشاريع البحثية لدراسة هذا الاقتران في أسماء الله الحسنى الأخرى، كاسمه العلي، والقدير، والحكيم، والعزيز...

وتهدف هذه الدراسة إلى اكتشاف نظام هذا الاقتران من حيث سياقه وموضوعه، والمواطن التي يتجلى فيها اسمه العليم حين يقترن بهذين الاسمين، ويبحث عن القضايا التي اتصل بها، ويتساءل عن الدلالات التي يحملها مما يتصل بنفسية المخاطب وسلوكه؟ كذلك، تهدف إلى اكتشاف ما لهذا الاقتران من أثر في التعريف بالله تبارك تعالى.

ومنهج هذه الدراسة يقوم على الاستقراء الموضوعي التام لكل المواطن التي ورد فيها هذان الاقترانان، والنظر والتأمل في الآيات الكريمة التي وردا فيها، واستخلاص القواعد الضابطة لهذين الاقترانين مبيّنا معاني هذين الاقترانين من أمهات كتب التفسير، واقوال العلماء والباحثين، ومما يمكن استنباطه من هذه المعاني.

وقد قسمت هذه الدراسة إلى مبحثين اثنين وخاتمة:

المبحث الأول: اقتران اسم الله الواسع باسمه العليم في السياق القرآني.

المطلب الأول: في معنى اسم الله الواسع واسمه العليم.

المطلب الثاني: ورود اقتران اسم الله الواسع باسمه العليم في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: السياقات التي ورد فيها اسم الله الواسع مقترناً باسمه العليم.

المبحث الثاني: **اقتران اسم الله الشاكر باسمه العليم في السياق القرآني.**

المطلب الأول: في معنى اسم الله الشاكر.

المطلب الثاني: ورود اسم الله الشاكر مقترنا باسمه العليم في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: السياقان اللذان ورد فيها اسم الله الشاكر مقترناً باسمه العليم.

الخاتمة وأبرزت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة وتوصياتها.

المبحث الأول:

اقتران اسم الله الواسع باسمه العليم في السياق القرآني:

المطلب الأول: في معنى اسم الله الواسع، واسمه العليم:

يعود الأصل اللغوي لـ "الواسع" إلى الفعل وسع، قال ابن فارس: "الواو والسين والعين: كلمةٌ تدلُّ على خلافِ الضِّيق والعُسْر. يقال وَسُع الشَّيءُ واتَّسَعَ. والوُسْع: الغِنَى. والله الواسعُ، أي: الغنيّ. والوُسْع: الجِدَةُ والطّاقة. وهو يُنفِق على قدر وُسْعِه"[١]. "والواسع من صفات الله: الذي وسع رزقه جميع خلقه، ووسعت رحمته كل شيء"[٢]، واشتقاقه من السّعة، ولها معان بحسب ما يضاف إليها أو ما تتعلق به، قال الزجاج: "السّعة في الكلام كثرة أجزاء الشيء، يقال: إناء واسع، وبيت واسع، ثم قد يستعمل في الغنى، يقال: فلان يعطي من سعة: يراه من غنى وجدة، وفلان واسع الرحل وهو الغني"[٣].

وذكر الغزالي أنّ السّعة تضاف مرّة إلى العلم إذا اتسع وأحاط بالمعلومات الكثيرة، وتضاف أخرى إلى الإحسان وبسط النعم، وكيف ما قدر، وعلى أي شيء نزل، فالواسع المطلق هو الله سبحانه وتعالى؛ لأنّه إن نظر إلى علمه فلا ساحل لبحر معلوماته، بل تنفد البحار لو كانت مداداً لكلماته، وإن نظر إلى إحسانه ونعمه فلا نهاية لمقدوراته. وكل سعة وإن عظمت فتنتهي إلى طرف، والذي لا ينتهي إلى طرف فهو أحق باسم السعة، والله سبحانه وتعالى هو "الواسع المطلق"[٤].

وجعل الأصفهاني السعة في حق الله تعالى شاملة لسعة العلم والقدرة والرحمة والإفضال[٥]. وهو ناشئ عن استقراء، يضاف إليه: القول بأنه واسع المغفرة كما ورد في سورة النجم، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ (النجم:٣٢).

وذكر ابن عاشور تحليلاً لغوياً أفاد فيه من كلام الغزالي وبنى عليه في معنى هذا الاسم، فقال: "حقيقة السعة امتداد فضاء الحَيِّز من مكان أو ظرف امتداداً يكفي لإيواء ما يحويه ذلك الحيز بدون تزاحم ولا تداخل بين أجزاء المحويّ، يقال: أرض واسعة، وإناء واسع، وثوب واسع. ويطلق الاتساع وما يشتقّ منه على وفاء الشيء بالعمل الذي يعملَه نوعُه دون مشقة، يقال: فلان واسع البال، وواسع الصدر، وواسع العطاء، وواسع الخُلُق، فتدلّ على شدّةِ أو كثرةِ ما يسند إليه، أو يوصف به، أو يعلق به من أشياء ومعان، وشاع ذلك حتى صار معنى ثانياً". و "وَاسع"

من صفات الله وأسمائِه الحسنى وهو بالمعنى المجازي لا محالة؛ لاستحالة المعنى الحقيقي في شأنه تعالى. ومعنى هذا الاسم عدمُ تناهي التعلّقات لصفاته ذات التعلق، فهو واسع العلم، واسع الرحمة، واسع العطاء، فسعة صفاته تعالى أنها لا حدّ لتعلقاتها، فهو أحقّ الموجودات بوصف واسع؛ لأنه الواسع المطلق. وإسناد وصف واسع إلى اسمه تعالى إسناد مجازي أيضاً؛ لأنّ الواسع صفاتُه، ولذلك يُؤتَى بعد هذا الوصف أو ما في معناه من فعل السعة بما يميز جهة السعة من تمييز نحو: وَسِع كل شيء علماً، ربنا وسعت كلّ شيء رحمةً وعلماً(٦). وبعبارة أخرى: "عند إجراء اسمه الواسع على الذات يفيد كمال صفاته الذاتية: الوجودِ، والحياة، والعلم، والقدرة، والحكمة" (٧) والرحمة والمغفرة.

وعلى هذا فمعنى الواسع الذي لا يضيق بشيء من علم أو قدرة أو إحسان وعطاء أو رحمة أو مغفرة، أو حكمة ...، ولا يكون ذلك إلا في حقّ الله سبحانه، فهو الواسع مطلقاً. وهو من أسماء الجلال والكمال الإلهي.

أما العليم والعالم من أسماء الله الحسنى، فهما مشتقان من العلم، والعلم هو إدراك الشيء على ما هو به(٨). وذكر العلماء في معنى "عليم" أقوالاً متقاربة، فيرى الخطابي أنّ "العليم هو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق، وجاء على بناء فعيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم"(٩) وقال ابن الأثير: "هو العالم المحيطُ عِلْمُه بجميع الأشْياء ظاهِرها وباطِنها دَقِيقِها وجَلِيلِها على أتَمِّ الإمْكان"(١٠). وذكر الزجاج أنّ العليم والعالم بمعنى واحد، إلا أنّ "عليم" فيه صفة زائدة على ما في "العالم"(١١) قال ابن حجر: "هذا بالنظر إلى أصل المعنى، وإلا فصيغة فعيل من صيغ المبالغة فمعناها زائد على معنى الفاعل. وقد ترد صيغة فعيل بمعنى الصفة المشبهة، وفيها أيضاً زيادة لدلالتها على الثبوت بخلاف مجرد الفاعل، فإنه يدل على الحدوث"(١٢). كذلك، فإنّ اسمه "العالم" لم يأت في القرآن إلا مضافاً بخلاف اسمه العليم فقد ورد مستقلاً، مفرداً، أو مقترناً بغير من الأسماء الحسنى.

المطلب الثاني: ورود اقتران اسم الله الواسع باسمه العليم في القرآن الكريم:

اقترن اسم الله "العليم" باسمه الواسع سبع مرات في آيات كلها مدنية، أربع منها في سورة البقرة، والثلاثة الأخرى في سور: آل عمران والمائدة والنور. ويرد هذا الاقتران في الآيات المدنية في سياق التعريف بالله وصفاته من حيث اتصاله بعمل العبد وسلوكه. والفترة المدنية ارتقت في سلّم التعريف بالله سبحانه وأسمائه الحسنى، فكونه سبحانه واسعاً عليماً يؤثر في سلوك العبد من

حيث الفعل والتوكل واليقين وغير ذلك، فتكون دافعاً له إلى العمل، وحافزاً له على بذل الخير والمعروف، تدفعه إلى الإحسان؛ لأنّ الله واسع الإحسان، وتدفعه إلى التعامل مع الناس بالتسامح والرحمة والمغفرة؛ لأنّ الله واسع الرحمة، واسع المغفرة. أضف إلى أنّ علم العبد بأن الله واسع عليم يدفعه إلى التعلّق به سبحانه سائلاً رحمته ومغفرته وإحسانه وعطاءه، وفضله وإنعامه...

وثمة دلالة أخرى لورود هذا الاقتران في الآيات المدنية، هي أنّ الحال لم يكن مناسباً للتعريف بهذا الاسم في الآيات المكية، نظراً لشدّة تلك الفترة على المسلمين الذين عاشوا كل أحوال الضيق والشدّة التي لم تفارقهم، فقد ضيّق عليهم في دينهم، حتى هاجروا إلى الحبشة، واستمر التضييق عليهم في دينهم ودنياهم، وحوصروا في الشعب، ...، حتى اضطروا إلى ترك ديارهم وأموالهم والهجرة عنها إلى المدينة المنورة، ...، ولما استقروا في المدينة، أخذ حال الضيق بالانفراج، فوسّع الله على المؤمنين في دينهم ودنياهم. ولما ذاقوا طعم السعة واستشعروا عظمتها عرّفهم سبحانه باسمه الواسع ليكون التعريف واقعاً عملياً، وهذا أوقع في النفس، وأبلغ في التعريف به جلّ جلاله.

وقد اختلف هذا الاقتران عن غيره من حيث الأسلوب، فقد وقع كله مخبراً عن الله تعالى بأنه واسع عليم، فجمع بين ثلاثة أسماء من الأسماء الحسنى، هي: الله، والواسع، والعليم، وهذا يجعل صفتي السعة والعلم في ذروة الكمال المطلق، لاقترانهما باسم الله الأعظم، مما يوحي بأنّ السياق الذي ورد فيه هذا الاقتران يستدعي ذلك، بشرى للخلق بعطاء الله ومنّته عليهم، وأماناً لهم مما يخافون من نوائب الدهر وتقلبات الزمان، وتبدّل الأحوال والأيام، فوروده في آيات متصلة بحياة الخلق يدفع كلّ وهم وخوف ووسواس يتسلل إلى نفوسهم من أمرين:

الأول: من كل ما يوقع في الضلالة والغواية أو الحرج في الدين فاصطفى الله من البشر ما يتجاوز بالناس هذا الخوف، ويقودهم إلى برّ الأمان.

الثاني: من خشية الفقر والحاجة من الإقدام على أمرين، الأول: الإنفاق في سبيل الله وبذل الصدقات في وجوه الخير، وما قد يترتب عليه من خشية الفقر، والخوف من الفاقة. والثاني: الإقبال على الزواج وما قد يترتب عليه من خشية الفقر، والخوف من عدم استمرار الحياة الزوجية بسبب متطلباتها وحتجاتها، ولذلك ختم فاصلة كل آية ببيان أنّه سبحانه واسع عليم.

لقد ورد هذا الاقتران في سياق جامع في القرآن الكريم وهو سياق التوسعة على العباد والإحسان إليهم في دينهم ودنياهم بناءً على علمه المطلق سبحانه بأحوالهم وحاجاتهم. وهذا

ما سيتوضّح في المطلب الآتي:

المطلب الثالث: السياقات التي ورد فيها اسم الله الوسع مقترناً باسمه العليم:

أولاً: التوسعة على الناس في الدين والشريعة:

من سنن الله في التشريع التيسير ورفع الحرج، وهذه السنة لم تتخلف في كل ما شرع الله تعالى للناس فيما أوحى به إلى الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم، فيكون ما شرع سبحانه في مقدور الناس الإتيان به على وجهه، فيقيمونه في حياتهم، ويتعاونون على أدائه، فتستقيم شؤون حياتهم، ونظام اجتماعهم، وقد كان لهذه التوسعة مظاهر عديدة، نبرزها في الآتي:

١- التوسعة على الناس في اصطفاء البشر لمهام النبوة أو القيادة:

من سنن الله الجارية في الخلق كذلك، أنّ الله تعالى لا يترك الناس إذ خلقهم دون رسول أو نبي يبلغهم مراده ورسالته، وهو إذ يختار لهم من البشر رسلاً يختارهم دون اعتبار للمعايير المادية، ويختارهم دون النظر إلى أحسابهم وأنسابهم، فليس لأحد عند الله خصوصية أو مزية يمتاز بها عن الآخرين، وقد وسّع على الناس فلم يجعل النبوّة في سلالة معينة من البشر بناءً على ألوانهم أو أعراقهم، أو أجناسهم، بل وسّع عليهم في اصطفاء من يختارهم لمهام النبوّة. وتجلّى ذلك –بكل وضوح– في اختيار محمّد ﷺ لمهام النبوّة الخاتمة، كما أخبر بذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ (آل عمران)، وقد ولد يتيماً، وعاش يتيماً في كنف عمّه، وهو ردّ على جهالات اليهود الذين حصروا النبوّة في بني جنسهم، وعدّوها حكراً عليهم. قال صاحب المنار: ختم الآية بقوله: والله واسع عليم لبيان سعة فضله، وإحاطة علمه بالمستحق له للإشعار بأنّ اليهود قد ضيقوا بزعمهم حصر النبوة فيهم –هذا الفضل الواسع– وجهلوا كنه هذا العلم المحيط. ثم بين تعالى أنّ فضله الواسع ورحمته العامة تابعة لمشيئته لا لوساوس المغرورين من أهل الكتاب الذين حجروهما بجهلهم، فقال: "يختصّ برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم" فهو يجعل من يشاء نبياً ويبعثه رسولاً، ومن اختصه بذلك فإنّما يختصه بمحض فضله العظيم لا بعمل قدّمه، ولا لنسب شرّفه، وإن جهل ذلك الذين يظنون أنه تعالى يحابي الأفراد أو الشعوب بذلك وبغيره، تعالى الله عن ذلك"[١٣] وبهذا التوسعة في اصطفاء محمّد ﷺ، تحطمت كل أطماع اليهود في استبقاء النبوّة فيهم، وأعلمهم الله تعالى أنّ النبوّة اصطفاء من الله، لا ميراث يتوارثه الأحفاد

عن الأجداد، أو الأبناء عن الآباء! فقد توهموا أنّهم شعب الله المختار ومحمّد ﷺ لم يبعث منهم، فكيف لو ختمت النبوّة بنبي من بني إسرائيل ماذا عساهم قائلون!.

والتوسعة هنا سنّة إلهية جارية في الخلق، فلم يجعل الله تعالى ما أنزله من حق وهداية بأيدي فئة من الناس، تهبه لمن تشاء، وتحرمه من تشاء حسب أهوائها، كما كان يفعل اليهود، ومن كان على شاكلتهم، فما من أمة إلا خلا فيها نذير، وما أرسل الله من نبي إلا بلسان قومه ليبين لهم، ولئن كانت رسالات الأنبياء السابقين خاصة محصورة في أقوامهم فقد وسّع الله تعالى على الناس جميعاً ببعثة محمّد ﷺ فكان رحمة للعالمين، وجعل من آيته الكبرى القرآن الكريم آية خالدة لكل مهتد إلى يوم الدين.

وأكد صاحب المنار هذا المعنى حين بين المقصد الثاني من مقاصد القرآن، وهو التنبيه على جهل البشر في شأن فهم النبوة والرسالة، فقال: "يقرب منهم –من المشركين– الْيَهُودُ الَّذِينَ أَنْكَرُوا أَنْ يُخْتَصَّ تَعَالَى بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ وَالْمِنَّةِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَأَوْجَبُوا عَلَيْهِ أَنْ يَحْصُرَ النُّبُوَّةَ فِي شَعْبِ إِسْرَائِيلَ وَحْدَهُ، كَأَنَّ بَقِيَّةَ الْبَشَرِ لَيْسُوا مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ يَسْتَحِقُّونَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ مَا أَعْطَاهُ لِلْيَهُودِ مِنْ هِدَايَةِ النُّبُوَّةِ"(١٤).

قال ابن عاشور: "وصفه في هذه الآية بأنه واسع هو سعة الفضل؛ لأنه وقع تذييلاً لقوله: ذلكَ فضل الله يؤتيه من يشاء. وأحسب أنّ وصف الله بصفة واسع في العربية من مبتكرات القرآن. وقوله: "عليم" صفة ثانية بقوة علمه، أي: كثرة متعلّقات صفة علمه تعالى. ووصفه بأنه عليم هنا لإفادة أنه عليم بمن يستأهل أن يؤتيه فضلَه، ويدل على علمه بذلك ما يظهر من آثار إرادته وقدرته الجارية على وفق علمه، متى ظهر للناس ما أودعه الله من فضائل في بعض خلقه"(١٥). ويمكن حمل سعة الفضل على معنى أنّ اليهود لما تواصوا بعدم تصديق إلا من تبع دينهم، بيّن سبحانه أنّ فضل الله واسع بحيث اصطفى نبيّا من غيرهم ليكون نبياً ورسولاً إلى الناس كافة، بل أرسل محمداً ﷺ من غيرهم رحمة للعالمين.

فالاصطفاء الإلهي لنبي أو رسول هو اختيار كامل منزّه عن كل شائبة، وهو فضل واسع يمتن الله به على النبي أو الرسول في المقام الأول، ثمّ على الأمة التي يبعث فيها إنقاذاً لها من وهم الضلالة والخرافة، وعصمة لها من افتراء الشرك والوثنية، ولا يقع ذلك كله إلا وفق علم مطلق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالسياق وارد في بيان مقام الإنعام والتفضل على الخلق أجمعين بنبوّة محمد ﷺ.

إنّ ورود اسم الله العليم يبين علم الله المطلق بحاجات الإنسان في أهمّ قضية من قضايا الحياة وشؤونها، قضية النبوّة الموجهة والهادية للنفوس والسلوك، والتي ينبغي أن تبقى اصطفاءً من الله تعالى توسعة على العباد، لا وصاية من طائفة على الآخرين. لقد جرّد بنو إسرائيل من هذا الشرف كما جرّد المشركون بنفي ولايتهم على المسجد الحرام ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۚ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأنفال:٣٤).

كذلك، شأن من يختارهم الله لقيادة البشر من غير الأنبياء **كـ** "طالوت" **و** "ذي القرنين" وغيرهما، يختارهم الله تعالى من أكفأ الناس وأفضلهم خلقاً وديناً، ففي سياق الحديث عن طلب بني إسرائيل من نبيهم أن يبعث لهم ملكاً ليقاتلوا معه في سبيل الله، كان الجواب أنّ الله قد بعث لكم طالوت ملكاً، قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ (البقرة)، فوقع الإخبار عن الله بأنه واسع عليم دفعاً لكل وهم يجعل من الأسباب المادية وحدها عنصر نجاح ونصر في أيّ معركة، فالله ذو الجلال والكمال حين يصطفي من البشر قادة لا يخضع لموازين البشر المادية من جاه، أو مال، أو سلطان في الاختيار، وليس لأحد من البشر عهد خاص عند الله تعالى، فليس الاصطفاء مقصوراً على فئة من الناس كبني إسرائيل... فقد اختار محمداً ﷺ لرسالته الخاتمة يتيماً دون اعتبار لوضعه الاجتماعي أو المالي، حتى توهّموا أنّ هذه المؤهلات ليست كافية ليكون نبياً، فطلبوا أن يتنزل القرآن على رجل من القريتين عظيم يتوافر له من عرض الدنيا ما يؤهله لذلك! وهي نظرة قاصرة تخضع كل شيء لاعتبارات المادة.

إنّ اختيار الله تعالى فيمن يصطفيه لنبوّة أو ملك اختيار فيه توسعة على الخلق، لعلمه سبحانه بأحوالهم: ما يصلحهم وما يفسدهم، ولما تؤصله عملية الاصطفاء من قيم ربانية تكون أنموذجاً للإنسان في الحياة من أبرزها قيم العدالة والمساواة، فطالوت كان من عامة الناس ولم يكن من السادة في بني إسرائيل. وإزاء هذا الاصطفاء ورد هذا الاقتران العجيب في فاصلة الآية "والله واسع عليم" ليوحي بأنّ اصطفاءه سبحانه كامل، وإحسانه كامل، ورحمته كاملة، وقدرته كاملة، وعلمه كامل، وتصرفه في الخلق بما يشاء، كيف يشاء، متى يشاء، لا يكون إلا عن علم مطلق، ومن شأن هذا الاختيار أن يبعث الطمأنينة والثقة في نفوس الناس، وبذلك تلتحم الأمة بقيادتها، وهو من أهم مظاهر قوّتها.

قال صاحب المنار: "ختم الآية بقوله تعالى: "وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" على طريقة القرآن في التنبيه

على الدليل بعد الحكمِ والتذكير بأسمائه الحسنى وآثارها: أي: واسع التصرّف والقدرة، إذا شاء أمراً اقتضته حكمته في نظام الخليقة فإنه يقع لا محالة، عليم بوجوه الحكمة، فلا يضع سننه في استحقاق الملك عبثاً، ولا يترك أمر العباد في اجتماعهم سدى، بل وضع لهم من السنن الحكيمة ما هو منتهى الإبداع والإتقان، وليس في الإمكان أبدع مما كان"(١٦).

وقال الآلوسي: "في اختيار واسع وعليم في الإخبار عنه تعالى هنا حسن المناسبة لبسطة الجسم وكثرة العلم ما تهتش له الخواطر لا سيما على ما يتبادر من بسطة الجسم"(١٧). وأرى أنّ ما ذكره صاحب المنار قبل أظهر في بيان وجه مناسبة هذا الاقتران.

٢- التوسعة في اختيار من يقيم دين الله تعالى:

في سياق مشابه لسياق التوسعة السابق، يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ (المائدة).

وردت الآية في سياق تحذير المؤمنين من اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، والتنديد بالذين يتخذونهم كذلك من الذين في قلوبهم مرض، وأنّ اتخاذهم أولياء من دون الله يعدّ ردّة في الدين تؤذن باستبدالهم بغيرهم ممن ذكر أوصافهم في الآية الكريمة. وهي أوصاف تؤهل أصحابها لحمل دين الله بأمانة، يحبون الله ويحبهم، يتواضعون للمؤمنين، ويستعلون على الكافرين عزّة وقوّة، يجاهدون في سبيل الله، ولا يخشون في الحقّ لومة لائم، فمن ضاق بهدي الله وتشريعه فإنّ الله واسع عليم، لا يضرّه كفر من كفر، ولا ينفعه إيمان من آمن، وإنّما هو فضل الله تعالى حيث أسند هذه المهام الشريفة لعصبة المؤمنين. قال في الظلال: "إنّ اختيار الله للعصبة المؤمنة لتكون أداة القدر الإلهي في إقرار دين الله في الأرض، وتمكين سلطانه في حياة البشر، وتحكيم منهجه في أوضاعهم وأنظمتهم، وتنفيذ شريعته في أقضيتهم وأحوالهم، وتحقيق الصلاح والخير والطهارة والنماء في الأرض بذلك المنهج وبهذه الشريعة. إنّ هذا الاختيار للنهوض بهذا الأمر هو مجرد فضل الله ومنّته، فمن شاء أن يرفض هذا الفضل، وأن يحرم نفسه هذه المنة فهو وذاك، والله غنى عنه وعن العالمين، والله يختار من عباده من يعلم أنه أهل لذلك الفضل العظيم"(١٨). فالمنّة لله، والفضل له، بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان، فلا يشعرن أحد بأنّ له منّة على الله تعالى أو دينه أو كتابه، فقد يختار الله أقواماً آخرين ينصرون دينه وكتابه.

"نعم، إنه فضل من الله؛ لأنهم ما داموا يحبهم الله ويحبون الله، وهم أذلة على المؤمنين وأعزّة على الكافرين، فقد جعلهم سبحانه حملة لواء منهجه، لتكون كلمة الله هي العليا، وذلك تفضل من الله ... إنّ فضل الله يؤتيه سبحانه وتعالى من يشاء، وتتسع قدرته لكل مطلوب؛ لذلك لا يمنّ المؤمن على الله بإيمانه، فليس عند الله أزمة في الذين يؤمنون به، وهو قادر على أن يأتي بقوم يحملون دعوته، فإذا ما ارتفعت رأس الباطل فهذا دليل على أن قطافها قد حان؛ لأنّ الزبد يذهب جفاء وما ينفع الناس يمكث في الأرض. فكأن الله حين يندب المؤمنين لمهمة إيمانية فذلك فضل من الله عليهم ... فكل تكليف من الحق للخلق هو فضل من الله؛ لأنّ التكليف إنّما يعود لصالح الخلق"(١٩). ومنفعتهم. لقد كان هذا الدين، وهذه الشريعة، وهذا النبيّ من أعظم ما تفضل الله به على الأمة، فأن ينصروه فهو الخير لهم، بل هو الفلاح لهم في الدنيا والآخرة، وإلا فهم الخاسرون، والله غني عن العالمين.

واقتصر الرازي رحمه الله في ذكر سرّ ختم الآية بما ختمت به على مظهر واحد، فرأى أنّ ذكر اسمه الواسع يشير إلى كمال القدرة، وأنّ اسمه العليم يشير إلى كمال العلم، ولما أخبر الله تعالى أنه سيجيء بأقوام هذا شأنهم وصفتهم، أكد ذلك بأنه كامل القدرة فلا يعجز عن هذا الموعود، كامل العلم فيمتنع دخول الخلف في أخباره ومواعيده(٢٠).

إنّ ورود اسم الله الواسع واسمه العليم مقترنين يحتمل عدّة معانٍ، فهو سبحانه واسع القدرة يُذهبُ قوماً تخلّفوا عن تحقيق أمر الله، وزهدوا في الانتصار لدينه، ويأت بقوم آخرين يعلم أنهم يحملون رسالته، ويؤثرون الله على كل ما سواه. وهو سبحانه واسع الغنى، غني عن خلقه جميعاً مؤمنهم وكافرهم، إنسهم وجنهم. وهو سبحانه عليم بمن يقوم بأمره ممن يتخلف عنه. والله تعالى واسع الفضل والعطاء والجود والكرم، فمن آتاه الله النبوة فقد وسّع عليه، ومن آتاه الحكمة فقد وسّع عليه، ومن آتاه الهداية فقد وسّع عليه، ومن كلفه بمهمة الخلافة فقد وسّع عليه، ومن كلفه بالجهاد في سبيل الله فقد وسّع عليه، ومن اختاره للانتصار لدينه فقد وسّع عليه، ومن وفّقه الله تعالى للأعمال الصالحات، وبذل الخير الصدقات فقد وسّع عليه بالنظر إلى ما يقابل ذلك من الأجر العظيم، والجزاء الكبير الذي أعدّه الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات، فالله واسع عليم.

والحياة في ظل الإسلام وما شرعه الله تعالى للفرد والأمة من فرائض، وواجبات، ومندوبات، ومباحات، وحلال، وحرام، كل ذلك فيه يسر وسعة للفرد والأمة، إذ رفع به إصر الجاهلية وأغلالها وقيودها، فالحياة في دائرة الإسلام واسعة ومُيَسّرة، وطيبة، والحياة في دائرة الكفر والضلال ضيقة، ومرهقة، ومؤلمة. بل هي جحيم لا يطاق، هذا المعنى ملحوظ في فهم الصحابي

الجليل ربعي بن عامر حين قال لرستم قائد جيش كسرى: إنّ الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ...[٢١] وكأنّ هذا الصحابي يقول: إنّ دنيا الكافر ضيقة، ودنيا من يرتد عن دينه ضيقة، ودنيا من يختار سبيل الضلالة والغواية ضيقة، ودنيا من يعبد غير الله ضيقة، أما دنيا المؤمن فهي دنيا واسعة، لأنّه يعلم حدود الله فيها. وكأنّ معيار الضيق والسّعة قائم على ما يتم إنجازه فيها من طاعة الله تعالى واتّباع دينه.

وإذا علم العبد أنّ دين الله تعالى قد بنى التصوّر الأمثل فيما يتصل بالإنسان والكون والحياة، فأحاطه علماً ببداياتها ونهايتها، وأدرك عظم ما أوكل الله إليه فيها من مهام وأعمال، وعلم أنّ ما شرع له من الدين مما يمكنه من انطلاق آمن نحو تحقيق عمارة الكون، وإقامة العبودية لله على الأرض، ...، إذا علم هذا كله، فقد أدرك معنى اسم الله الواسع، وأدرك سرّ الاقتران بينه وبين اسمه العليم في هذا السياق، فهو عليم بالفضل، وعليم بمن يؤتيهم هذا الفضل.

ولما كان اليهود هم أضيق الناس أفقاً، وأقلّهم فهماً وعلماً فيما يتصل بهدي الله تعالى وسننه الجارية في نظام الخالق، من حيث وصفهم أنفسهم بأنهم شعب الله المختار، وأنهم أبناء الله وأحباؤه -تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً- ومن حيث إنهم جعلوا لأنفسهم إلها خاصّا بهم لا يشاركهم فيه بقية الناس، وفضّلوا أنفسهم على سائر البشر ... لما كان ذلك كذلك، فإنّ هذا الاقتران قد بدّد وهمهم، وأبطل تمنياتهم، وفنّد مزاعمهم، حيث ورد في سياق الحديث عنهم تعليماً وتعريفاً لهم باسم الله الواسع واسمه العليم، فمن ذا الذي يحجر فضل الله الواسع في اصطفاء الأمناء على دينه وشريعته ورسالته!.

٣- التوسعة على الناس فيما شرع لهم:

التوسعة على الناس في أداء العبادة بقطع النظر عن المكان الذي يُعبد فيه، فليس للعبادة أماكن مخصوصة يعبده فيها العابدون، بل جعلت الأرض للمؤمن مسجداً وطهوراً، كما أخبر النبي ﷺ بقوله: "وجعلت لي الأرض مسجداً وطهورا، فأيّما رجل أدركته الصلاة فليصلّ... الحديث"[٢٢] وفي هذا السياق، وبالنظر في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ (البقرة)، يظهر أنّ اقتران اسمه تعالى الواسع باسمه العليم ورد بعد بيان أن لا أحد أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسم اسمه أو سعى في خرابها، وبيان حال هؤلاء ومآلهم، ثم أعقبها ورود هذه الآية. وقد أورد العلماء عدّة أقوال

في بيان مناسبة هذا الاقتران في الآية الكريمة، منها:

قول الإمام الطبري، "وهو أنه سبحانه يسع خلقه كلهم بالكفاية والإفضال والجود والتدبير؛ فإنّه عليم بأفعالهم لا يغيب عنه منها شيء، ولا يعزب عن علمه شيء، بل هو بجميعها عليم" (٢٣). لقد توضّح من كلام الطبري رحمه الله متعلق التوسعة على العباد، فقد كانت التوسعة عليهم بالإفضال والجود والتدبير، لكنه لم يوضّح لأيّ شيء، ولأيّ سبب كان هذا الجود والإفضال في سياق الآية!.

قول الزمخشري الذي جعل مفهوم الرحمة متمظهراً في التوسعة على العباد بصفة عامة، فقال: "واسع الرحمة، يريد: التوسعة على عباده والتيسير عليهم، عليم بمصالحهم" (٢٤). فمظهر التوسعة على العباد ومتعلقها تجلّى في الرحمة عند الزمخشري، أي: إنّ رحمته تعالى واسعة. ويبقى متعلق التوسعة بالرحمة يحتاج أن يظهر لأيّ شيء كان؟.

قول ابن عرفة: "هذا إما ترغيب وترهيب، أي: هو واسع الرحمة عليم بأعمال العباد فيجازيهم عليها، وإما ترغيب وتأكيد للترغيب، أي: هو واسع الرحمة مع علمه بأعمال العباد، وهذا أبلغ في رحمته؛ لأنّ الإنسان قد يرحم عدوه إذا كان جاهلاً بِعَداوَتِهِ وعصيانه، ولا يرحمه إذا علم بذلك" (٢٥). كذلك، يبقى سرّ تعلّق الرحمة خفياً بعض الشيء في فاصلة الآية.

ولعلّ معنى التوسعة على العباد كان لأجل ما شرع لهم في دينهم، وهذا أقرب مناسبة لهذا الاقتران، وهو الذي يتناسب مع سياق الآية من حيث إنّه سبحانه واسع الرحمة والإحسان في أمر الدين، فإذا ضيق عليكم أحد في مساجدكم فإنّ لله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثمّ وجه الله تعالى. فالتوسعة والتيسير في الدين تتناسب مع سعة المشرق والمغرب، وهما من ضمن ملك الله تعالى. وقد ذكر بعض العلماء هذا المعنى، قال الواحدي: "إنه سبحانه واسع الشريعة، يوسّع على عباده في دينهم" (٢٦). فلا يقع عليهم حرج. وقال القرطبي: "يوسّع على عباده في دينهم، ولا يكلفهم ما ليس في وسعهم" (٢٧). بل يكلفهم ما يطيقون؛ فقد رفع عنهم شرعة الإصر والأغلال، وأراد بهم اليسر على الدوام، وجنبهم كل عسر يحول بينهم وبين الوصول إلى مرضاة الله تعالى، والفوز بجنة الخلد. قال الرازي في معنى اسمه الواسع هنا: "أنه سبحانه واسع الإنعام ببيان المصلحة للعبيد؛ لكي يصلوا إلى رضوانه" (٢٨).

وفي أثر هذا الاقتران وما له من انعكاس على نفسية المؤمن قال البقاعي: "في هذا الختم بشرى للمؤمنين بتقديرهم، كما أنّ في الختم بالعلم بشرى بتعليمهم" (٢٩).

والنتيجة من ورود الاقتران في فاصلة هذه الآية، أنه يمثل رسالة من الله تعالى تبيّن أنه لم يجعل حرجاً على الخلق في العبادة، بل وسّع عليهم فيها، يعبدون الله في مساجدهم، فإن ضاقت بهم المساجد، أو حيل بينهم وبينها فرحمته بهم واسعه، وإحسانه إليهم كبير، يعبدونه في أي مكان أينما توجهوا، وحيثما كانوا. وعلمه سبحانه بنياتهم وما تخفيه صدورهم مطلق لا حدود له، يعلم من هو راغب في عبادته ممن هو منها في شك. عليم بمن يتقرّب إليه عن رضى وطواعية ورغبة، وعليم بمن يقصد في عبادته الرياء والسمعة يبتغي الأجر والثناء من الناس، ولم يترك لأحد بعد هذا التيسير والسعة من عذر في التخلّف عن عبادته تعالى، والتزام طاعته.

إنّ هذا السياق يقضي بأنّ الدين والنبوّة والعبادة من أهم الضرورات التي يحتاجها العباد، وأن حياتهم لا تستقيم بدونها، لذلك، وسّع الله تعالى عليهم فيها، وما جعل عليهم فيها من حرج، فالتوسعة وردت لحفظ مقصد الدين.

ثانياً: التوسعة على الناس في معاشهم:

كما وسّع الله تعالى على الناس في شأن دينهم، وسّع عليهم في شأن دنياهم وأمور معاشهم، وهيأ لهذه التوسعة أسباباً تجلبها، وتحافظ على بقائها وديمومتها، وتتمثل هذه الأسباب في أنواع من العمل الصالح الذي تنعكس آثاره على المجتمع بصفة عامة، ومن أبرز هذه الأعمال بذل الصدقات للفقراء والمساكين أو في الجهاد في سبيل الله، أو بذله لإغاثة ملهوف أو تفريج كربة مكروب، أو همّ مغموم، كل ذلك عبر عنه القرآن الكريم بعبارة جامعة صريحة هي: "في سبيل الله". وتوضيح ذلك:

١- التوسعة ببذل الصدقات:

فطر الإنسان على حب المال، وهو من الأمور التي جبل عليها، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾ (آل عمران:١٤)، وقال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (الفجر)، ولأنّ المال يحظى بهذه الأهمية، وهو شقيق الروح، فإنّ بذله وإخراجه مما يشقّ على الفرد ويولّد المخاوف لديه، والفقر أبرز مظهر لهذه المخاوف، وإزاء ذلك يرد هذا الاقتران هنا لنفي الخوف، والحثّ على الإسهام في تحقيق الأمن أو التكافل الاجتماعي في المجتمع المسلم، وتبرز أسرار هذا الاقتران بكل وضوح في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ

وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴿٢٦١﴾﴾ (البقرة)، فقد ضرب هذا المثل لبيان الأجر المقابل للإنفاق في سبيل الله تعالى، وهو مضاعفة الدرهم إلى سبعمائة ضعف، وباب المضاعفة أكثر من ذلك، وهو خاضع لمشيئة الله تعالى، فهو سبحانه واسع عليم. وفيه يظهر كيف أنّ حفظ مقصد المال يكون بإنفاقه، فإنّ الله تعالى الواسع العليم يضاعف أجر المنفق، فينمو ماله، وتتزكى نفسه، فهذا الفضل وهذه التوسعة تعود على المال بالتضاعف والزيادة، وتعود على النفس بالتزكية والطهارة.

والمقصود بسبيل الله هنا الجهاد، كما ذكر الطبري[٣٠]. واستظهر أبو حيان أن يكون الجهاد أو غيره[٣١]. وقال ابن عجيبة: "هو الجهاد ونحوه"[٣٢]. وبعبارة جامعة وصف صاحب المنار "سبيل الله" بأنه ما يوصل إلى مرضاته من المصالح العامة لا سيما ما نفعه أعمّ، وأثره أبقى"[٣٣]. وهذا من أوجه ما ذكر.

فإن ترجّح القول بأنّ المقصود هو الجهاد في سبيل الله فإنّ الإنفاق هنا يحقق الأمن العام في حياة الأمة الذي يشمل حماية الأنفس والأموال والأعراض، وحماية الأرض، وحماية هيبة الأمة، وحفظ كرامتها، وإزاء هذا الإنفاق يرد قوله تعالى: ﴿والله واسع عليم﴾ حثاً وترغيباً في هذا الإنفاق، ووعداً بأنّ يتفضل بالتوسعة على من أنفق، وهو عليم بنية المنفق في سبيل الله.

وإن ترجّح القول بأنّ "سبيل الله" هو كل ما يقرّب إلى الله تعالى، فإنّ الآية تحثّ على التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع المسلم، فإقبال العبد على بذل المال والصدقة إلى من يستحق من الفقراء والمساكين يسهم في إغلاق جيوب الفقر، ويكافح شبح البطالة ... ولأجل ذلك يبين الله تعالى ثواب هذا العمل الخالص، ويخبر بأنه سبحانه واسع عليم تطميناً للخلق، وإحساناً إليهم بأضعاف مضاعفة، فالحبة تتضاعف إلى سبع مائة ضعف، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم. وفي هذا حثّ العبد إلى بذل المال في وجوه الخير وعدم التردّد، بعدما علم أنّ الله جلّ جلاله واسع عليم، بمعنى أنّ عطاءه تعالى أكرم وأتمّ وأكمل، فعطاؤه لمن بذل المال في سبيله لا حدود له، وعلمه سبحانه بمن ينفق في سبيل الله تعالى محيط مطلق، وهذا يورث الطمأنينة في قلب العبد، ويجعله قرير العين بما يبذل من مال في سبيل الله تعالى، فما ينفقه من مال يقع في يد الواسع العليم.

ويؤيّد هذا المعنى من آيات القرآن قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سبأ: ٣٩)، ومن أحاديث المصطفى قوله ﷺ: "ما نقص مال من صدقة"[٣٤]

مما يؤكد سعة عطاء الله تعالى. وأنّه "لا يَضيقُ عليه ما يتفضّل به من الزيادة"، "عَلِيمٌ" بنية المنفقِ ومقدارِ إنفاقِه وكيفيةِ تحصيلِ ما أنفقه[٣٥].

قال الشعراوي: "إنّ الآية تعالج الشحّ، وتؤكد أنّ الصدقة لا تنقص ما عند الإنسان بل تزيده ... وسدّ على النفس البشرية بهذا المثل منفذ الشح"[٣٦]، الذي يخلّ بمروءة الإنسان وكرامته، ويقزّم نفسه وروحه عن الترقّي في سلّم الكمال الإنساني، أو السموّ في عالم الملكوت.

ونبّه ابن قيم الجوزية إلى أنّ ورود الاقتران على هذا النحو لا يقتضي أنّ يوسّع الله تعالى على من ينفق، فقال: "إنّ المضاعف واسع العطاء، واسع الغنى، واسع الفضل، ومع ذلك فلا يظنّ أنّ سعة عطائه تقتضي حصولها لكل منفق، فإنّه عليم بمن تصلح له هذه المضاعفة وهو أهل لها، ومن لا يستحقها ولا هو أهل لها، فإنّ كرمه وفضله تعالى لا يناقض حكمته، بل يضع فضله مواضعه لسعته ورحمته، ويمنعه من ليس من أهله بحكمته وعلمه"[٣٧] قلت: من شأن إيراد الاقتران على هذا النحو أن يدخل الطمأنينة على قلوب العباد فيحفزهم إلى الصدقة، وبذل الخير في وجوه الخير. والمنفق المخلص في إنفاقه من أهل الخير يستحق كل خير، لكن ليس بالضرورة أن يكون شأن التوسعة مادياً، فقد يبارك الله له في ما أنفق، ويبارك له فيما أبقى، أو يدفع عنه شرّاً ومصيبة ومرضاً وبلاءً، فيكون شأن التوسعة شأن الدعاء من حيث الإجابة! لأنّه لا يتصوّر أن يكون المنفق ماله مخلصاً في سبيل الله لا يستحق المضاعفة، ولا هو أهل لها!.

و تأكد وقوع هذا الاقتران في سياق حثّ القرآن الكريم على إنفاق الطيب من المال؛ ليواجه ضعف النفس الإنسانية إزاء الشهوة العارمة لحبّ المال والإمساك بالإحجام عن الإنفاق، يقول تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ (البقرة)، وهذا تصوير بليغ لما يدور في النفس الإنسانية من وساوس وخواطر تتمظهر في بثّ روح الفقر في نفس المنفق من جراء الإنفاق في سبيل الله. وسمّى ما يتزين في قلب الإنسان من الكف عن الإنفاق والإمساك بالفحشاء لما يترتب عليه من آثار سيئة بليغة. وهو وسواس شيطاني، قال الواحدي: "يأمركم بالفحشاء، أي: بالبخل ومنع الزكاة"[٣٨].

وقال الزمخشري: "ويغريكم على البخل ومنع الصدقات إغراء الآمر للمأمور. والفاحش عند العرب: البخيل"[٣٩]. فاقتران اسمه الواسع باسمه العليم يحقق أكثر من بعد في معالجة أمراض النفس الإنسانية ووساوسها إزاء التزامها بما شرع الله سبحانه، وتوضيح ذلك:

ورد الإخبار عن الله تعالى بأنه واسع عليم هنا لدفع ما قد يتسرب إلى القلوب من

خوف الفقر الناشئ عن نقص المال بالصدقات وأعمال البرّ والإحسان تحقيقاً للتكافل بين أفراد المجتمع المسلم. هذا الاستحضار يوحي بمدى تعلّق الإنسان بالمال والمادة، فحبّ المال مهيمن على عقول كثير من الناس ومستول على قلوبهم، فالاقتران يبعث برسائل بشرى وتطمين إلى العبد، كي ينفق ولا يخشى من ذي العرش إقلالاً، كما قال عليه الصلاة والسلام لبلال بن رباح ﷺ: "أنفق بلال، ولا تخش من ذي العرش إقلالاً"[٤٠].

وكونه سبحانه واسع يدفعه إلى الإقدام على البذل، وكونه عليما يعطيه ضماناً بأنّ إنفاقه لا يخفى على الله تعالى، من حيث مبلغ ما ينفق، ومن حيث إخلاصه في الإنفاق من عدمه، ومن حيث حالته النفسية في الإنفاق أينفق مكرهاً مضطراً، أم ينفق طائعاً مختاراً، أينقبض صدره عند الإنفاق أم ينبسط ويطمئن! كل ذلك يعلمه الله تعالى لا يخفى عليه. إنّ مما يترتب على ورود اسمه العليم أن يدفع العبد إلى الإخلاص، ويؤسس عنده اليقين.

قال الطبري: "يعني تعالى ذكره: "والله واسع" الفضل الذي يعدكم أن يعطيكموه من فضله وسعة خزائنه، "عليم" بنفقاتكم وصدقاتكم التي تنفقون وتصدقون بها، يحصيها لكم حتى يجازيكم بها عند مقدمكم عليه في آخرتكم"[٤١].

وقال صاحب المنار: "إِذَا وَعَدَ سبحانه أَنْجَزَ لِسَعَةِ فَضْلِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ يَعْلَمُ أَيْنَ يَضَعُ مَغْفِرَتَهُ وَفَضْلَهُ، بِمِثْلِ هَذَا يُفَسِّرُونَ هَذِهِ الأسماء فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ. وَأَقُولُ: إِنَّ اسْمَ عَلِيمٌ يُفِيدُ هُنَا أَنَّهُ –سُبْحَانَهُ– يَعْلَمُ غَيْبَ الْعَبْدِ وَمُسْتَقْبَلَهُ وَالشَّيْطَانُ لا يَعْلَمُ ذَلِكَ فَوَعْدُهُ تَغْرِيرٌ لا يَعْبَأُ بِهِ الْعَاقِلُ النِّحْرِيرُ"[٤٢].

٢– التوسعة بتزويج من لا زوج له:

كذلك، من أبرز الأعمال الصالحات التي تثمر في التوسعة على الناس في شؤون اجتماعهم، تزويج من لا زوج له من الرجال أو النساء تحصيناً لهم من الفاحشة والرذيلة، وصيانة للمجتمع من كل مظاهر الضعف والانحلال، وبهذا يتحقق مقصد حفظ النسل أو العرض، وصيانة النفس عن دنس الشهوة، وإزاء ذلك يقع الإخبار عن الله بأنه واسع عليم بشرى للعبد، وتنبيهاً للولي حتى لا تنشأ عوائق تحول بين الستر والعفاف من خشية الفقر وبين هذه المهمة النبيلة من تزويج من يرجى فيهم الخير والصلاح، فإنّ الله تعالى واسع عليم، قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ (النور)، فلا يخشى مقبل على الزواج من الفقر، فالله تعالى يوسّع

عليهم، وقد بين رسول الله ﷺ ذلك فقال: "ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف"(٤٣).

وفي هذا إتمام لتحقيق الأمن الاجتماعي الحاصل بإنشاء أسرة شرعية عن طريق زواج شرعي، لإنجاب أبناء شرعيين.

إنّ إهمال هذا الجانب في حياة الفرد يؤدي إلى فساد خطير في المجتمع، فقد يؤدي إلى انتشار الفاحشة والرذيلة، وقد يؤدي إلى اضمحلال مفهوم الأسرة، وقد يؤدي إلى التأثير على النمو السكاني... ممّا ينعكس سلباً على الأوضاع الاقتصادية للمجتمع.

قال أبو زهرة مبيناً أهمية تزويج من لا زوج له: "إذا كان واجباً على الجماعة أن تسهل الزواج وتشيعه لأنه سنّة الإسلام، فإنّه لا يصح أن يحول الفقر بينه وبين الزواج، فإنّ المال مال الله غاد ورائح، ففقير اليوم قد يكون من بعد غنياً" (٤٤). وذلك كله موكول إلى علم الله تعالى، فهو الذي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر، وهو الذي يعلم حقيقة ما في قلوب هؤلاء ونواياهم، فإن كانوا صادقين في مقاصدهم يسر الله لهم سبل الخير، وسهل لهم بفضله ونعمائه أمر الزواج. ولم يشهد الواقع والتاريخ أنّ الزواج كان سبب فقر، بل هو سبب سعة ونعمة وغنى.

وزعم بعض المفسرين أنّ هذا ليس وعداً بإغناء من يتزوج، وأنه الأصح(٤٥). ولا يعلم دليل كونه كذلك، بل إنّ منطوق الفاصلة ومفهومها يقضي بأنه وعد، ففاصلة الآية ختمت باسمين من أسماء الله الحسنى هما الواسع والعليم، فما الذي يمكن إدراكه من مفهوم الاقتران بين هذين الاسمين الجليلين في الآية الكريمة؟ وما سرّ إيرادهما؟ وكلام المفسرين يؤكد ذلك، قال الواحدي: هذا وعد من الله تعالى بالغنى على النكاح، وإعلام أنه سبب لنفي الفقر(٤٦). وقال ابن عطية: "إنّ الآية وعد بالإغناء" (٤٧).

وقال ابن عاشور: "والذي يؤخذ من استقراء القرآن وصف الواسع المطلق إنّما يراد به سعة الفضل والنعمة، ولذلك يقرن بوصف العلم ونحوه" (٤٨). فهو ليس وعداً في هذه الآية فقط، ولكنه كذلك أينما ورد في السياق القرآني.

إن سياق التوسعة هنا ورد في قضيتين ضروريتين للعباد يبذل المال لأجلهما، سبيل الله وتزويج من لا زوج له، وبذلك يحفظ مقصدين من مقاصد الشريعة حفظ المال، وحفظ النسل.

المبحث الثاني:

اقتران اسم الله الشاكر باسمه العليم في السياق القرآني:

المطلب الأول: في معنى اسم الله الشاكر:

"الشُّكْرُ: عِرفانُ الإحسانِ ونَشرُه، وحَمْدُ مُوليهِ، وَهُوَ الشُّكور أَيْضا، والشُّكُورُ من الدَّوابِّ: مَا يكفيهِ للسِّمَنِ العلفُ القليلُ«[49] «ويكون بالثناء على المحسن بما أولاكه من المعروف"[50].

الشاكر هو: اسم من أسماء الله الحسنى، وهو اسم فاعل من شَكَرَ يشكر فهو شاكر ومشكور، والشكر: مقابلة المنعم على فعله بثناء عليه، وقبول لنعمته، واعتراف بها، هذا أصله في اللغة[51].

وقد سمّى تعالى نفسه "شكورا" وسمّى نفسه "شاكرا" وكلاهما يرجع إلى الفعل "شكر". وذكر الزجاجي أنّ أصله من الشكر، وهو الظهور، ومنه شكر الضرع إذا امتلأ، وامتلاؤه ظهوره، فكأنّ الشكر من الله تعالى هو إثابة الشاكر على شكره، فجعل ثوابه للشكر وقبوله للطاعة شكراً على طريقة المقابلة[52]. وفي الفرق بين الشاكر والشكور ذكر البيهقي فيما نقل عن الْحَلِيمِيُّ قوله أنّ: الشَّاكِرُ مَعْنَاهُ الْمَادِحُ لِمَنْ يُطِيعُهُ، وَالْمُثْنِي عَلَيْهِ، وَالْمُثِيبُ لَهُ بِطَاعَتِهِ فَضْلًا مِنْ نِعْمَتِهِ، قَالَ: وَالشَّكُورُ هُوَ الَّذِي يَدُومُ شُكْرُهُ وَيَعُمُّ كُلَّ مُطِيعٍ وَكُلَّ صَغِيرٍ مِنَ الطَّاعَةِ أَوْ كَبِيرٍ. وَذَكَرَهُ أَبُو سُلَيْمَانَ فِيمَا أُخْبِرْتُ عَنْهُ بِمَعْنَاهُ فَقَالَ: الشَّكُورُ هُوَ الَّذِي يَشْكُرُ الْيَسِيرَ مِنَ الطَّاعَةِ فَيُثِيبُ عَلَيْهِ الْكَثِيرَ مِنَ الثَّوَابِ وَيُعْطِي الْجَزِيلَ مِنَ النِّعْمَةِ، فَيَرْضَى بِالْيَسِيرِ مِنَ الشُّكْرِ، قَالَ: وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالشَّكُورِ تَرْغِيبُ الْخَلْقِ فِي الطَّاعَةِ قَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ؛ لِئَلَّا يَسْتَقِلُّوا الْقَلِيلَ مِنَ الْعَمَلِ فَلَا يَتْرُكُوا الْيَسِيرَ مِنْ جُمْلَتِهِ إِذَا أَعْوَزَهُمُ الْكَثِيرُ مِنْهُ وَمِنْهَا"[53].

وبناءً على ما تقدّم، فإنّ معنى كون الله تعالى شاكراً أن يقبل من العبد عمله الصالح من فعل المأمورات واجتناب المحظورات من أفعال القلوب أو الجوارح، ويثيبه عليه الثواب الجزيل ولو كان العمل يسيرا، ولا يتصور ذلك إلا بإخلاص النية.

المطلب الثاني: ورود اسم الله الشاكر مقترنا باسمه العليم في القرآن الكريم:

وردت لفظة "شكر" ومشتقاتها في القرآن الكريم خمساً وسبعين مرّة في تسع وستين آية، منها ست عشرة آية مدنية، وثلاث وخمسون آية مكية[54]، وكثرة ورودها في الآيات المكية

ينسجم مع المنهج التأسيسي للقرآن الكريم في تعليم الناس شكر الخالق سبحانه على نعمائه وآلائه التي لا تعدّ ولا تُحصى، وترسيخ هذه القيمة في حياة الناس، فقد كان ولا يزال القليل من العباد شكوراً. قال في الظلال: "إنّ شكر النعمة دليل على استقامة المقاييس في النفس البشرية. فالخير يشكر؛ لأنّ الشكر هو جزاؤه الطبيعي، في الفطرة المستقيمة... هذه واحدة... والأخرى أنّ النفس التي تشكر الله على نعمته، تراقبه في التصرف بهذه النعمة بلا بطر، وبلا استعلاء على الخلق، وبلا استخدام للنعمة في الأذى والشر والدنس والفساد. وهذه وتلك مما يزكي النفس، ويدفعها للعمل الصالح، وللتصرف الصالح في النعمة بما ينميها ويبارك فيها؛ ويرضي الناس عنها وعن صاحبها، فيكونون له عوناً؛ ويصلح روابط المجتمع فتنمو فيه الثروات في أمان"(٥٥). وبهذا يظهر أنّ معرفة اسم الله الشاكر والشكور تحفّز إلى المبادرة إلى العمل الصالح، فالقليل من العمل يكافأ بالكثير من الأجر والثواب. وتؤسس في التعامل بين الناس قيمة الشكر الذي يقتضي مقابلة المعروف بشكره.

أما اقتران اسمه تعالى الشاكر باسمه العليم فقد ورد في آيتين مدنيتين في القرآن الكريم، وردتا في سياقين يتحدثان عن أعمال عظيمة تتطلب قوّة في الصبر والثبات، وعزيمة في العمل للوصول إلى مرضاة الله تعالى والتقرب إليه. وقد تقدّم في الآيتين اسمه تعالى الشاكر على اسمه العليم. وتفصيل ذلك:

المطلب الثالث: السياقان اللذان ورد فيها اسم الله الشاكر مقترناً باسمه العليم:

أولاً: إدامة الشكر توجب رفع العذاب:

يعد شكر الإنسان لغيره على نعمة أو فضل أو معروف اعترافاً منه بفضله، واستشعاراً لقيمة تلك النعمة أو ذلك الفضل الذي أسداه له، وهو في الوقت نفسه خلق وسلوك حسن منه إزاء ذلك الغير، فما جزاء المعروف إلا الإحسان، وإذا أدام الإنسان شكره فإنّ ذلك المحسن يديم عليه نعمته وفضله. هذا سلوك العبد مع العبد فكيف يكون حاله مع الله إذا أدام شكره، وحدّث بنعمته عليه فشكرها؟.

لقد جعل الله تعالى الشكر سنّة من سننه في نظام الخلق، فالشكر يجلب التوسعة على العباد في الرزق، ويديم النعم عليهم، ويحفظ بقاءها، كما أنّ جحد النعمة يوجب التضييق عليهم فيها، إما بنزع بركتها أو بمحقها وإذهابها، أو بتسليط الغوائل عليها. قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ (إبراهيم)، فالشاكر لله فضله

وإنعامه هو من يعظم ذلك الفضل، ويديم الشكر عليه.

وفي سياق بيان أنّ الشكر والإيمان ينجيان العبد من عذاب الله تعالى، ورد قوله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴿١٤٧﴾﴾ (النساء)، والآية واردة في حديث عن المنافقين تعليماً لهم حقّ الشكر والإيمان، بل جعل الطبري الخطاب في هذه الآية للمنافقين[٥٦]. أما القشيري فقد جعل هذه الآية من الآيات التي توجب حُسْنَ الرجاء وقوّة الأمل، لأنّه جعل من أمارات الأمان من العقوبات شيئين اثنين: الشكر والإيمان[٥٧]. فالشكر إظهار فضله تعالى على آلائه ونعمائه، والإيمان تصديق بكل ما أخبر به، فاجتمع العمل الصالح مع الإيمان الصادق، وهما أمران يدفعان العذاب. والله سبحانه يقبل شكر من شكر وآمن، فهو عليم بالشاكر لا يضيع ما استحق من أجر وثواب. وهذه سنة من سنن الله تعالى في الخلق.

وفي هذه الصيغة الاستفهامية التي تصدرت بها الآية الكريمة قال البغوي: "هذا استفهام بمعنى التقرير، معناه: إنه لا يعذب المؤمن الشاكر، فإنّ تعذيبه عبادَهُ لا يزيد في ملكه، وتركه عقوبتهم على فعلهم لا يُنْقِصُ من سلطانه، والشكرُ: ضد الكفر، والكفر ستر النعمة، والشكر: إظهارُها"[٥٨]. فإظهار العبد الاستجابة لطاعة ربه بلا رياء، ولا نفاق، مؤشر على أنّ هذا العمل يستحق أن يجازي الله تعالى عليه بالشكر والثواب والجزاء الحسن.

وفي مجيء صيغة الشكر على وزن اسم الفاعل قال أبو حيان: "وأتى بصفة الشكر باسم الفاعل بلا مبالغة ليدل على أنه يتقبل ولو أقل شيء من العمل وينميه، عليماً بشكركم وإيمانكم فيجازيكم. وفي قوله: عليماً، تحذير وندب إلى الإخلاص لله تعالى"[٥٩].

واضاف ابن عاشور معنى آخر بقوله: "فيه كذلك إعلام بأنّ الله لا يعطل الجزاء الحسن عن الذين يؤمنون به، ويشكرون نعمه الجمّة، والإيمان بالله وصفاته أول درجات شكر العبد ربه"[٦٠].

وتساءل الزمخشري عن سرّ تقديم الشكر على الإيمان في الآية الكريمة فقال: "فإن قلت: لم قدم الشكر على الإيمان؟ قلت: لأنّ العاقل ينظر إلى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه، وتعريضه للمنافع، فيشكر شكراً مبهماً، فإذا انتهى به النظر إلى معرفة المنعم آمن به، ثم شكر شكراً مفصلاً، فكان الشكر متقدماً على الإيمان، وكأنّه أصل التكليف ومداره"[٦١].

وقد يكون ثمة سبب آخر، هو أنّ الآية وردت في سياق الحديث عن المنافقين، والنفاق

سلوك يصيبه الخذلان والغثيان، ويحالفه الفشل والخسران، وترى السقوط حليفه عند أول عتبات الأعمال الصالحات، وعند اختباره بعزائم الأمور، وعظائم الأعمال، وعند الشدائد التي تتطلب صبراً وثباتاً وإقداما، ولما كان العمل هو السبب الموجب في رفع العذاب قدّمه على الإيمان، فالعمل ترجمان الإيمان ودليله وبرهانه، بل هو أساس العمل، وقاعدة انطلاقه ومرتكزه؛ ولذلك كان العمل معيار الإيمان الحق، ومؤشر صادق يشهد له.

ثانياً: في الحج والعمرة ذروة الكمال الروحي:

من رحمة الله تعالى أن جعل صفة الشكر وسيلة يتقرب بها العبد إلى ربه إذا ما تحلّى بهذه الصفة فأحسن إلى نفسه، أو أحسن إلى غيره، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أنّ الله يشكر العبد على إحسانه لنفسه، بل الأبلغ من ذلك أنه سبحانه أعطى العبد ما يحسن به إلى نفسه، وشكره على قليله بالأضعاف المضاعفة(٦٢).

ومما أعطى العبد وشرع له الحج والعمرة، فهما من أبرز الأعمال التي تستحق شكر الله تعالى، وهما السبيل لبلوغ ذروة الكمال الروحاني، فمن باشر مخلصاً الحجّ والعمرة اللذين هما مثال العبادات الروحية والمالية مجتمعة في هذا الدين، فإنّ الله يشكر له، كما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ (البقرة)، فهاتان العبادتان جمعتا متطلبات الروح والجسد، وفتحتا المجال واسعاً لمن شاء أن يرتقي في سلّم الكمال الروحي والقرب من الله تعالى، فالعبد يتحمل لأجل ذلك كلّ الصعاب والمشاقّ، ويبذل لذلك ماله ونفسه صابراً محتسباً، قاصداً الأجر والثواب من الله تعالى، فأداؤهما والاستزادة منهما تطوعاً وقربة إلى الله تعالى عمل يشكر الله سبحانه عليه، ويجزي عليه الجزاء الجميل. وواضح أنّ اقتران الشكر بالعلم يدخل الطمأنينة على قلب العبد، فحين يدرك العبد أنّ الله عليم مطلع على ما يقوم به من حج أو عمرة في تلك الجموع الهائلة على الرغم من كل العوائق والصعاب، يطمئن ويفرح بأنّ الله سيشكر له، ويثيبه على ما يقوم به من فريضة أو نافلة، فشكره تعالى مترتب على علمه بأحوال من يشكر الله تعالى بإخلاص على نعمه وآلائه وتوفيقه، فهو شكر عليم ببواطن الأمور.

واستظهر ابن عاشور أن يكون في الشكر هنا استعارة تمثيلية، شبّه شأن الله في جزاء العبد على الطاعة بحال الشاكر لمن أسدى إليه نعمة وفائدة، هذا التشبيه تمثيل تعجيل الثواب وتحقيقه؛ لأنّ حال المحسن إليه أن يبادر بشكر المحسن(٦٣). ومعناه أن يقابل بالإحسان مقابلة

الشكور؛ لأنه يقابل على اليسير بأضعافه(٦٤).

وهذا الذي استظهره ابن عاشور قد سبق الرازي إلى تقريره وزاد عليه فقال: "إنّه تعالى لما أمرهم بالشكر سمى جزاء الشكر شكراً على سبيل الاستعارة، فالمراد من الشاكر في حقه تعالى كونه مثيباً على الشكر. والمراد من كونه عليماً أنه عالم بجميع الجزئيات، فلا يقع الغلط له البتة، فلا جرم يوصل الثواب إلى الشاكر والعقاب إلى المعرض(٦٥). قال المراغي: "وفي التعبير عن إحسان الله على عباده بالشكر– تعويدهم الآداب العالية والأخلاق السامية، إذ أنّ منفعة عملهم عائدة إليهم، وهو مع ذلك قد شكرهم عليه"(٦٦).

فالحج والعمرة عملان كبيران عظيمان، وفيهما من المشاقّ ما ليس في غيرهما، ولذلك يؤديان مرّة في العمر لمن استطاع إلى ذلك سبيلاً، ومن تطوّع وزاد بأن أدّاهما أكثر من مرّة فهو موعود بشكر الله تعالى له، يقبل منه عمله ويثيبه عليه بأجزل ما يكون من العطاء؛ لأنّه لا يتطوّع بالحج والعمرة على ما بهما من تلك المشاق والمتاعب إلا من عقد العزم وأخلص النيّة لله تعالى، وعندما يتيقن إخلاصه لله تعالى فإنّه سبحانه يقبله ويجزيه حسنا، أما من عشش النفاق في قلبه، فإنّه لا يقوى على تلك المتاعب والمشاقّ فيحجم عن تلك العبادات الكبرى فيحرم خيري الدنيا والآخرة.

الخاتمة:

يحسن بنا وقد وصلنا إلى نهاية البحث بعون الله وتوفيقه أن نسطّر أهم ما توصلت إليه هذه الدراسة من نتائج وتوصيات، نوردها في النقاط الآتية:

أولاً: الواسع اسم من أسماء الله الحسنى، وهو من أسماء الكمال والجلال، وهو الذي لا يضيق بشيء من علم، أو قدرة، أو إحسان وعطاء، أو رحمة، أو مغفرة، أو حكمة، ...، ولا يكون ذلك إلا في حقّ الله سبحانه، فهو الواسع مطلقاً. وفي هذا الاسم الجليل معاني عظيمة تنعكس إيجاباً على نفس العبد وسلوكه، فما دام الله واسعاً عليماً فإنّ العبد واقف ببابه، سائل من عطائه، غير يائس من فضله وإنعامه.

ثانياً: اتجه سياق الاقتران الثنائي بين اسم الله الواسع واسمه العليم في السياق القرآني إلى حفظ مقاصد الشريعة إجمالاً، وهي حفظ الدين والنفس والنسل والمال، وحفظ مقصد الأمن الاجتماعي.

ثالثاً: ورد هذا الاقتران الثنائي بين اسمه تعالى الواسع باسمه العليم في القرآن في سياق الإنعام والإفضال على الخلق، بتحقيق أمرين لهما صلة وثيقة بنظام حياة الناس واجتماعهم، هما:

أ- التوسعة على الناس في شؤون دينهم، فلم يكلفهم الله تعالى فوق ما يطيقون، ولم يحمل عليهم إصراً، بل قام شرعه على اليسر ورفع الحرج، وأفاد اسمه الواسع في هذا السياق حثّ النفوس للإقبال على هديه، والالتزام بشرعه. وهو سياق يتقرر به حفظ مقصد الدين.

ب- التوسعة على الناس في شأن معاشهم بسبب ما يقومون به من أعمال صالحات، فالمال هو عصب الحياة، وبذله لمن يستحق تدبير لشؤون هذه الحياة، ولا ينبغي أن يكون فقده صارفاً عن الزواج الذي يحفظ النفوس بديمومة النسل، ويحفظ النفوس بعصمتها من الوقوع في الفاحشة. وفتح اسمه الواسع في هذا السياق باب الأمل لكل ذي حاجة بأنّ عطاء الله تعالى لا ينفد. وهو سياق يتقرّر به حفظ مقصد النفس، ومقصد النسل، ومقصد المال.

وهذان الأمران يشكلان الأساس في تحقيق الأمن الاجتماعي في حياة الناس، وهما دافعان قويان لبناء حياة الناس على الصلاح والاستقامة، والهدى والرشاد.

رابعاً: الشاكر اسم من أسماء الله الحسنى، وهو من أسماء الكمال والجلال ومعنى كونه

سبحانه شاكراً أنه يتقبل من العبد عمله الصالح من فعل المأمورات، واجتناب المحظورات من أفعال القلوب، أو الجوارح، ويجزي عليه بالثواب الجزيل، والعطاء الكبير، وإن كان عمل العبد قليلاً يسيراً.

خامساً: ورد هذا الاقتران الثنائي بين اسمه تعالى الشاكر واسمه العليم في القرآن في سياق الحث على إظهار الشكر لله تعالى بالاستجابة لما شرع، والإقبال عليه سبحانه بهمة وإخلاص. وأبرز مظاهر الاستجابة لما شرع أداء الأعمال الصالحة كالحج والعمرة ففيهما يظهر صدق العبد في ابتغاء مرضاة الله، وتحمّل المشاقّ والمتاعب، والصبر على تجشم الصعاب، وبذل المال في سبيل أداء تلك الطاعات طلباً للمغفرة والصفح من الله سبحانه، فالعبد لا يقوم بذلك إلا قربة وزلفى إلى ربه راجياً ما عنده من أجر وثواب، خائفاً وجلاً مما أعدّ للعصاة والمنافقين من العذاب. فكأنّ النفاق لا يتسلل إلى هذه العبادة العظيمة.

سادساً: في ورود اسمه الشاكر في هذا السياق إغراء للعبد بالاستزادة من فعل الصالحات، فإنّ سبحانه يجزي على القليل من العمل الكثير من الأجر.

سابعاً: يتقرر من اقتران اسم الله الشاكر باسمه العليم في السياق القرآني سنة من سنن الله في الخلق، هي أنّ الشاكرين في مأمن من العقوبة والعذاب.

أما التوصيات فلعلّ أبرز توصية نوصي بها الباحثين التوجّه إلى دراسة ظاهرة الاقتران الثنائي بين أسماء الله الحسنى، فهي ظاهرة جديرة بالدراسة، حقيقة بأن يوليها الباحثون جلّ اهتمامهم؛ لأنها تفتح آفاقاً جديدة في دراسة إعجاز القرآن الكريم من جهة، وتؤصّل قواعد الفاصلة القرآنية التي يرد فيها هذا الاقتران من جهة أخرى.

الهوامش:

* ورد اسم الله تعالى الشكور في القرآن الكريم أربع مرات، اقترن في ثلاث منها باسمه الغفور، وفي آية واحدة باسمه الحليم، لكنه لم يقترن باسمه العليم مطلقاً.

١- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٦، ص ٨٣.

٢- محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، ج ٣، ص ٦١.

٣- أبو إسحق إبراهيم بن محمد الزجاج. تفسير أسماء الله الحسنى، ص ٥١.

٤- أبو حامد، محمد بن محمد الغزالي. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، ص ١١٩. وانظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته للقرطبي، ص ٢٥١-٢٥٢.

٥- الحسين بن أحمد المعروف بالراغب الأصفهاني. المفردات، ص ٥٢٣.

٦- محمد الطاهر ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير، ج ٣، ص ٢٨٤.

٧- المرجع السابق نفسه، ج ٢٧، ص ١٦.

٨- علي بن محمد الجرجاني. التعاريف، ص ٦٦.

٩- أبو سليمان، حمد بن محمد الخطابي. شأن الدعاء، ص ٥٧.

١٠- المبارك بن محمد، ابن الأثير. النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٥٦٠ .

١١- انظر: الزجاج. تفسير أسماء الله الحسنى، ص ٣٩-٤٠.

١٢- أحمد بن علي، ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج ٨، ص ١٥٥.

١٣- محمد رشيد رضا. تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، ج ٣، ص ٢٧٨.

١٤- تفسير المنار، ج ١١، ص ١٨٠.

١٥- ابن عاشور. التحرير والتنوير، ج ٣، ص ٢٨٤.

١٦- رضا، تفسير المنار، ج ٢، ص ٣٨١.

١٧- محمود بن عبدالله الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ٢، ص ١٦٧.

١٨- سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٢، ص ٣٩٢.

١٩- انظر: محمد متولي الشعراوي، خواطري حول القرآن -تفسير الشعراوي- باختصار، ص ٢٢٣٣.

٢٠- محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٢، ص ٢٢.

٢١- انظر: محمد بن جرير الطبري. تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، ص ٤٠١.

٢٢- جزء من حديث رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، ج ١، ص ١٦٨، حديث رقم ٤٢٧.

٢٣- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان. ج ٢، ص ٥٣٧.

٢٤- محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٢٠٧.

٢٥- محمد بن عرفة الورغمي التونسي، تفسير ابن عرفة، ج ١، ص ١٦٢.

٢٦- علي بن أحمد الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص١٢٦.

٢٧- أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص٨٤.

٢٨- الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٤، ص٢١.

٢٩- إبراهيم بن عمر البقاعي. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. ج١، ص٢٢٠.

٣٠- الطبري، جامع البيان، ج ٥، ص٥١٧.

٣١- أثير الدين محمد بن يوسف، أبو حيان. البحر المحيط، ج٢، ص٣١٨.

٣٢- أحمد بن محمد المهدي، ابن عجيبة الإدريسي. البحر المديد، ج١، ص٣٣٩.

٣٣- رضا. تفسير المنار، ج٣، ص٥١.

٣٤- حديث صحيح، أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب استحباب العفو والتواضع، ج ٤، ص ٢٠٠١. حديث رقم ٢٥٨٨. ومحمد بن عيسى الترمذي. كتاب السنن، كتاب الزهد، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر. ج٤، ص٥٦٢، ح٢٣٢٥. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

٣٥- محمد بن محمد العمادي، أبو السعود. إرشاد العقل السليم، ج١، ص٢٥٧. وانظر: علي بن محمد

الماوردي. النكت والعيون، تحقيق السيد عبدالمقصود، بيروت: دار الكتب العلمية ج١، ص٣٣٧.

٣٦- الشعراوي. خواطري حول القرآن، ص ٧٤٩.

٣٧- محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية. طريق الهجرتين وباب السعادتين، ص ٥٤٠.

٣٨- الواحدي. الوجيز، ص١٨٩.

٣٩- الزمخشري. الكشاف، ج١، ص٣٤٣.

٤٠- ابن حجر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير، وفيه مبارك بن فضالة، وهو ثقة، وفيه كلام، وبقية رجاله رجال الصحيح، ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن. ج٣، ص١٢٦، حديث رقم:٤٧٠١.

٤١- الطبري. جامع البيان، ج ٥، ص ٥٧٥.

٤٢- رضا. تفسير المنار. ج٣، ص٦٣.

٤٣- أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب النكاح، باب لم ير للمتحابين مثل التزوج، وقال: (صحيح على شرط مسلم)، ووافقه الذهبي. ج٢، ص١٦٠، حديث رقم:٢٧٣٥. الترمذي. كتاب السنن، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في المجاهد والناكح والمكاتب وعون الله إياهم. ج ٤، ص١٨٤، ح١٦٥٥. قال الترمذي: هذا حديث حسن.

٤٤- محمد أحمد أبو زهرة. زهرة التفاسير، ص٥١٨٨.

٤٥- عمر بن علي، ابن عادل الدمشقي. اللباب في علوم الكتاب، ج١٤، ص٣٣٨.

٤٦- الواحدي. الوجيز، ص٧٦٣.

٤٧- عبدالحق بن غالب، ابن عطية الأندلسي. المحرر الوجيز، ج٤، ص٢٢٠.

٤٨- ابن عاشور. التحرير والتنوير، ج١٨، ص٢١٧.

٤٩- الأزهري، تهذيب اللغة، ج١٠، ص١٠.

٥٠- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٣، ص١٦١. وانظر: محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ص٣٥٤.

٥١- عبدالرحمن ين إسحق الزجاجي، اشتقاق أسماء الله الحسنى، ص٨٧. وانظر: أساس البلاغة للزمخشري، ج١، ص٥١٦.

٥٢- انظر: الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى ص٤٧-٤٨. والزجاجي، اشتقاق أسماء الله الحسنى، ص٨٧.

٥٣- أحمد بن الحسين البيهقي، الأسماء والصفات، ج١، ص١٧٨. وانظر: البيهقي: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، ص٥٩. وانظر: الغزالي، المقصد الأسنى، ص١٠٥. وانظر: سعيد ندا، مفهوم الأسماء والصفات، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ٤٦، ص ٧٠.

٥٤- تراجع هذه الإحصاءات من خلال البحث في مصحف المدينة النبوية الإلكتروني.

٥٥- قطب، في ظلال القرآن، ص٢٠٨٩.

٥٦- الطبري، جامع البيان. ج٩، ص٣٤٢.

٥٧- عبدالكريم بن هوازن القشيري. لطائف الإشارات، ج١، ص٢٣٥.

٥٨- الحسين بن مسعود البغوي، معالم تنزيل، ج٢، ص٣٠٣.

٥٩- أبو حيان، البحر المحيط، ج٣، ص٣٩٧.

٦٠- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٥، ص٢٤٥.

٦١- الزمخشري، الكشاف، ج١، ص٦١٦.

٦٢- ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص٢٨١.

٦٣- انظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير، ج٢، ص٦٥.

٦٤- الماوردي، النكت والعيون، ج٤، ص٤٧٢.

٦٥- الرازي، مفاتيح الغيب، ج١١، ص٧٢.

٦٦- أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ج٢، ص٢٨.

المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم، مصحف المدينة النبوية الإلكتروني.

٢- ابن الأثير، المبارك بن محمد (ت:٦٠٦هـ). النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ.

٣- الأزهري، محمد بن أحمد (ت:٣٧٠هـ) تهذيب اللغة، تحقيق: محمد مرعب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م.

٤- الأصفهاني الحسين بن أحمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت:٥٠٢هـ) المفردات، تحقيق: سيد كيلاني. بيروت: دار الكتب العلمية، بلا تاريخ.

٥- الآلوسي، محمود بن عبدالله (ت:١٢٧٠هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بلا تاريخ.

٦- البخاري، محمد بن إسماعيل (ت:٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح، تحقيق مصطفى البغا، بيروت: دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ.

٧- البغوي، الحسين بن مسعود (ت:٥١٦هـ) معالم التنزيل، السعودية: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ.

٨- البقاعي، إبراهيم بن عمر (ت:٨٨٥هـ). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبدالرزاق المهدي. بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

٩- البيهقي، أحمد بن الحسين (ت:٤٥٨هـ)، الأسماء والصفات، تحقيق: عبدالله الحاشدي، جدة: مكتبة السوادي، ١٤١٣هـ.

١٠- البيهقي، أحمد بن الحسين، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، تحقيق: أحمد الكاتب، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠١هـ.

١١- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (ت:٢٧٩هـ). كتاب السنن، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.

١٢- الجرجاني، علي بن محمد (ت:٨١٦هـ). التعاريف، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (بيروت: دار الكتاب العربي)، ١٤٠٥هـ.

١٣- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت:٨٥٢هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

١٤- أبو حيان الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف (ت:٧٤٥هـ)، البحر المحيط، تحقيق: عادل عبدالموجود وآخرين، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.

١٥- الخطابي، حمد بن محمد (ت:٣٨٨هـ). شأن الدعاء، تحقيق: أحمد الدقاق، بيروت: دار الثقافة العربية، ١٤١٢هـ.

١٦- الرازي، محمد بن أبي بكر (ت:٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف محمد، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ.

١٧- الرازي، محمد بن عمر (ت:٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ.

١٨- رضا، محمد رشيد(ت:١٣٥٤هـ). تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار. مصر: الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٠م.

١٩- الزجاج، إبراهيم بن محمد، أبو إسحق (ت:٣١١هـ). تفسير أسماء الله الحسنى، تحقيق: أحمد الدقاق، دمشق: دار الثقافة العربية، ١٩٧٤م.

٢٠- الزجاجي، عبدالرحمن ين إسحق (ت:٣٣٧هـ)، اشتقاق أسماء الله الحسنى، تحقيق: عبد حسين المبارك، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ.

٢١- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر (ت:٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ.

٢٢- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر (ت:٥٣٨هـ). الكشاف، تحقيق: عبدالرزاق المهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، بلا تاريخ.

٢٣- أبو زهرة، محمد أحمد (ت:١٣٩٤هـ). زهرة التفاسير، بيروت: دار الفكر العربي، دون تاريخ.

٢٤- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت:٩٨٢هـ). إرشاد العقل السليم، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بلا تاريخ.

٢٥- الشعراوي، محمد متولي (ت:١٤١٩هـ). خواطري حول القرآن -تفسير الشعراوي- المكتبة الشاملة.

٢٦- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت:٣١٠هـ). تاريخ الأمم والملوك (بيروت: دار الكتب العلمية)، ١٤٠٧هـ.

٢٧- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت:٣١٠هـ). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق: أحمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

٢٨- ابن عادل الدمشقي، عمر بن علي (ت:٨٨٩هـ). اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل عبدالموجود وعلي معوض، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ.

٢٩- ابن عاشور، محمد الطاهر (ت:١٣٩٣هـ). تفسير التحرير والتنوير، تونس: دار سحنون، ١٩٩٧م.

٣٠- ابن عجيبة الإدريسي، أحمد بن محمد المهدي (ت:١٢٢٤هـ). البحر المديد، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ.

٣١- ابن عرفة، محمد بن عرفة الورغمي التونسي (ت:٨٠٣هـ) تفسير ابن عرفة. تحقيق: محمد الأسيوطي. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٩هـ.

٣٢- ابن عطية الأندلسي، عبدالحق بن غالب (ت:٥٤٢هـ) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبدالسلام محمد. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ.

٣٣- الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد (ت:٥٠٥هـ) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، تحقيق: بسام الجابي، قبرص: الجفان والجابي، ١٤٠٧هـ.

٣٤- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت:٣٩٥هـ) معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

٣٥- القرطبي، محمد بن أحمد، أبو عبدالله (ت:٦٧١هـ) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته، مصر: المكتبة الحصرية، ١٤٢١هـ.

٣٦- القرطبي، محمد بن أحمد، أبو عبدالله (ت:٦٧١هـ). الجامع لأحكام القرآن، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥م.

٣٧- القشيري، عبدالكريم بن هوازن (ت:٤٦٥هـ). لطائف الإشارات، تعليق: عبداللطيف عبدالرحمن، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م.

٣٨- قطب. سيد (ت:١٣٨٧هـ) في ظلال القرآن، بيروت: دار الشروق، بدون تاريخ.

٣٩- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر(ت:٧٥١هـ) طريق الهجرتين وباب السعادتين، تحقيق: عمر أبو عمر، الدمام: دار ابن القيم، ١٤١٤هـ.

٤٠- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت:٧٥١هـ)، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، بيروت: دار ابن كثير، ١٤٠٩هـ.

٤١- الماوردي، علي بن محمد (ت:٤٥٠هـ) النكت والعيون، تحقيق: السيد عبدالمقصود. بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

٤٢- المراغي، أحمد مصطفى (ت: ١٣٧١هـ) تفسير المراغي، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، بدون تاريخ.

٤٣- ندا، سعد عبدالرحمن، مفهوم الأسماء والصفات، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ٤٦، السنة١٢.

٤٤- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت:٨٠٧هـ) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة: مكتبة القدسي ١٤١٤هـ.

٤٥- الواحدي، علي بن أحمد (ت:٤٦٨هـ) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق صفوان داوُدي، دمشق، دار القلم١٤١٥هـ.